أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثنى أبى - يعنى عبد العزيز بن أبى بكرة - عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به » وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « من يرائى يرائى الله به ومن يسمع يسمع الله به » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثنى عمرو بن مرة قال سمعت رجلا فى بيت أبى عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به ، مسامع خلقه وصغره وحقره » فذرفت عينا عبد الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الايلى حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجونى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بنى آدم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة فى صحف مختمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرا فيقول إن عمله كان لغير وجهى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهى » ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصرى ليس به بأس ، وقال وهب حدثنى يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعى أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل فى مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عوف ابن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عزوجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكونى حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندى أنه سمع معاوية بن أبى سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية ، وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هى مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ فى ليلة: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن أبين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة » غريب جداً .

آخر تفسير سورة الكهف

﴿ تفسير سورة مريم وهى مكية ﴾

وقد روى محمد بن إسحق فى السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود فى قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشى وأصحابه

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة . وقوله (ذكر رحمت ربك) أى هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمت ربك عبده زكرياء) وزكريا يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بنى إسرائيل ، وفى صحيح البخارى أنه كان نجارا يأكل من عمل يده فى النجارة . وقوله (إذ نادى ربه نداء خفياً) قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب فى طلب الولد إلى الرغبة لكبره ، حكاه الماوردى وقال الآخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة فى هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفياً) إن الله يعلم القلب التقى ، ويسمع الصوت الخفى ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول:

خفية يارب يارب يارب، فقال الله له: لبيك لبيك لبيك (قال رب إنى وهن العظم منى) أى ضعفت وخارت القوى واشتعل الرأس شيبا) أى اضطرم المشيب فى السواد كما قال ابن دريد فى مقصورته

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجا
واشتعل المبيض فى مسوده مثل اشتعال النار فى جمر الغضا

والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة ، وقوله (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى ولم أعهد منك إلا الاجابة فى الدعاء ولم تردنى قط فيما سألتك ، وقوله (وإنى خفت الموالى من ورائى) قرأ الأكثرون بنصب الياء من الموالى على أنه مفعول : وعن الكسائى أنه سكن الياء كما قال الشاعر

كأن أيديهن فى القاع القرق أيدى جوار يتعاطين الورق

وقال الآخر فتى لو يبارى الشمس ألقت قناعها أو القمر السارى لألقى المقالدا

ومنه قول أبى تمام حبيب بن أوس الطائى

تغاير الشعر منه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال مجاهد وقتادة والسدى : أراد بالموالى العصبة ، وقال أبو صالح الكلالة ، وروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يقرؤها (وإنى خفت الموالى من ورائى) بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباتى من بعدى وعلى القراءة الأولى وجه خوفه أنه خشى أن يتصرفوا من بعده فى الناس تصرفا سيئا فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه فأجيب فى ذلك لا أنه خشى من وراثتهم له ماله فإن النبى أعظم منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله إلى ماهذا حده وأن يأنف من وراثة عصباته له ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه (الثانى) أنه لم يذكر أنه كان ذا مال بل كان نجارا يأكل من كسب يديه ومثل هذا لايجمع مالا ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهد شىء فى الدنيا (الثالث) أنه قد ثبت فى الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ماتركنا صدقة » وفى رواية عند الترمذى بإسناد صحيح « نحن معشر الأنبياء لانورث » وعلى هذا فتعين حمل قوله (فهب لى من لدنك وليا يرثنى) على ميراث النبوة ولهذا قال(ويرث من آل يعقوب) كقوله (وورث سليمان داود) أى فى النبوة، إذ لوكان فى المال لما خصه من بين إخوته بذلك ولما كان فى الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر فى جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويثبته ما صح فى الحديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » قال مجاهد فى قوله (يرثنى ويرث من آل يعقوب) كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب . وقال هشيم أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله(يرثنى ويرث من آل يعقوب) قال يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه ، وقال السدى يرث نبوتى ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم (ويرث من آل يعقوب)قال نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله (يرثنى ويرث من آل يعقوب) قال يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير فى تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبى ﷺ قال « يرحم الله زكريا وما كان عليه من وراثة ماله ويرحم الله لوطا إن كان ليأوى إلى ركن شديد » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخى زكريا ما كان عليه من وراثة ماله حين قال : هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب» وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم ، وقوله (واجعله رب رضيا) أى مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك فى دينه وخلقه

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو أنه أجيب إلى ماسأل فى دعائه فقيل له (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) كما قال تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) وقوله (لم نجعل له من قبل سميا) قال قتادة وابن جريج وابن زيد أى لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد (لم نجعل له من قبل سميا) أى شبيها أخذه من معنى قوله (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) أى شبيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لايولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام فانهما إنما تعجبا من البشارة باسحق لكبرهما لا لعقرهما ولهذا قال (أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون) مع أنه كان قد ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته (ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح فرحا شديدا وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذى يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا أى عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتا يعتو عتيا وعتواوعسا يعسو عسوا وعسيا ، وقال مجاهد: عتيا يعنى قحول العظم ، وقال ابن عباس وغيره عتيا يعنى الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كلها غير أنى لا أدرى أكان رسول الله ﷺ يقرأ فى الظهر والعصر أم لا ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف (وقد بلغت من الكبر عتيا) أوعسيا ، ورواه الإمام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زياد بن أيوب كلاهما عن هشيم به (قال) أى الملك مجيبا لزكريا عما استعجب منه (كذلك قال ربك هو على هين) أى إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لامن غيرها (هين) أى يسير سهل على الله ، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) كما قال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام أنه (قال رب اجعل لى آية) أى علامة ودليلا على وجود ما وعدتنى لتستقر نفسى ويطمئن قلبى بما وعدتنى كما قال إبراهيم عليه السلام (رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) (قال آيتك) أى علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدى وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة . قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ، وقال العوفى عن ابن عباس (ثلاث ليال سويا أى متتابعات والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح كما قال تعالى فى آل عمران (قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار) وقال مالك عن زيد بن أسلم (ثلاث ليال سويا) من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم

الناس فى هذه الليالى الثلاث وأيامها (إلا رمزاً) أى إشارة ولهذا قال فى هذه الآية الكريمة (فخرج على قومه من المحراب) أى الذى بشر فيه بالولد (فأوحى إليهم) أى أشار إشارة خفية سريعة (أن سبحوا بكرة وعشيا) أى موافقة له فيما أمر به فى هذه الأيام الثلاثة زيادة على اعماله شكراً لله على ما أولاه . قال مجاهد (فأوحى إليهم) أى أشار وبه قال وهب وقتادة ، وقال مجاهد فى رواية عنه (فأوحى إليهم) أى كتب لهم فى الأرض وكذا قال السدى :

﴿ يَيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وهذا أيضاً تضمن محذوفا تقديره أنه وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيي عليه السلام وأن الله علمه الكتاب وهو التوراة التى كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً فلهذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه فقال (يا يحيي خذ الكتاب بقوة) أى تعلم الكتاب بقوة أى بجد وحرص واجتهاد (وآتيناه الحكم صبيا) أى الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيي بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ماللعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله (وآتيناه الحكم صبيا) وقوله (وحناناً من لدنا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وحناناً من لدنا) يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وزاد لا يقدر علمها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد (وحناناً من لدنا) وتعطفا من ربه عليه وقال عكرمة (وحناناً من لدنا) قال محبة عليه وقال ابن زيد أما الحنان فالمحبة ، وقال عطاء بن أبى رباح (وحناناً من لدنا) قال تعظيما من لدنا وقال ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا والله ما أدرى ماحنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبير عن قوله (وحناناً من لدنا) فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئا والظاهر من السياق أن قوله وحنانا معطوف على قوله (وآتيناه الحكم صبيا) أى وآتيناه الحكم وحنانا وزكاة أى وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة فى شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحنت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر :

تعطف علىّ هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

وفى المسند للامام أحمد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يبقى رجل فى النار ينادى ألف سنة يا حنان يا منان » وقد يثنى ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها كما قال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله وزكاة معطوف على وحنانا فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب ، وقال قتادة الزكاة العمل الصالح ، وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكى ، وقال العوفى عن ابن عباس (وزكاة) قال بركة (وكان تقيا) طهر فلم يعمل بذنب ، وقوله (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) لما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولا وفعلا أمرا ونهيا ولهذا قال (ولم يكن جبارا عصيا) ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أى له الأمان فى هذه الثلاثة الأحوال ، وقال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون المرء فى ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيي بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور المروزى عن صدقة بن الفضل عنه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله (جبارا عصيا) قال كان

ابن المسيب يذكر قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيي بن زكريا » قال قتادة ما أذنب ولاهم بامرأة ، مرسل وقال محمد بن إسحق عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيي بن زكريا » ابن إسحق مدلس وقد عنعن هذا الحديث فالله أعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أوهم بخطيئة ليس يحيي بن زكريا وما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وهذا أيضاً ضعيف لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة والله أعلم ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيي وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكيا طاهرا مباركا عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فان بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه وأنه على مايشاء قادر فقال (واذكر في الكتاب مريم) وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها نذرتها محررة أي تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدءوب وكانت في كفالة زوج أختها زكريا بن بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فذكر أنه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أي اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس. قال السدي لحيض أصابها ، وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قيل ربك (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا خالد بن عبدالله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال : إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة ، وقال قتادة (مكانا شرقيا) شاسعا متنحيا ، وقال محمد بن إسحق ذهبت بقلتها لتستقي الماء، وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلا تتعبد فيه فالله أعلم وقوله (فاتخذت من دونهم حجابا) أي استترت منهم وتوارت فأرسل

الله تعالى إليها جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سويا) أى على صورة إنسان تام كامل ، قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدى فى قوله (فأرسلنا إليها روحنا) يعنى جبرائيل عليه السلام وهذا الذى قالوه هوظاهر القرآن فانه تعالى قد قال فى الآية الأخرى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التى أخذ عليها العهد فى زمان آدم عليه السلام وهو الذى تمثل لها بشراً سويا أى روح عيسى فحملت الذى خاطبها وحل فى فيها وهذا فى غاية الغرابة والنكارة وكأنه إسرائيلى (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أى لما تبدى لها الملك فى صورة بشر وهى فى مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت أنه يريدها على نفسها فقالت (إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أى إن كنت تخاف الله تذكيرا له بالله وهذا هو المشروع فى الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل فخوفته أولا بالله عزوجل. قال ابن جرير حدثنى أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال : قال أبو وائل وذكر قصة مريم فقال قد علمت أن التقى ذونهية حين قالت (إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك) أى فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكنى رسول ربك أى بعثنى الله إليك ، ويقال إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا وعاد إلى هيئته وقال (إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهورى القراء ، وقرأ الآخرون (لأهب لك غلاما زكيا) وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى (قالت أنى يكون لى غلام) أى فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لى غلام أى على أى صفة يوجد هذا الغلام منى ولست بذات زوج ولا يتصور منى الفجور ولهذا قالت (ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا) والبغى هى الزانية ولهذا جاء فى الحديث النهى عن مهر البغى (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى فقال لها الملك مجيبا لها عما سألت إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلاما وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على مايشاء قادر ولهذا قال (ولنجعله آية للناس) أى دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذى نوع فى خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله (ورحمة منا) أى ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى فى الآية الأخرى (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) أى يدعو إلى عبادة ربه فى مهده وكهولته قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الرحيم بن إبراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث الكوفى عن مجاهد قال : قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت حدثنى عيسى وكلمنى وهو فى بطنى وإذا كنت مع الناس سبح فى بطنى وكبر ، وقوله (وكان أمراً مقضيا) يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر فى علم الله تعالى وقدره ومشيئته ، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنه كنى بهذا عن النفخ فى فرجها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) قال محمد بن إسحق (وكان أمراً مقضيا) أى إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد ، واختار هذا أيضاً ابن جرير فى تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم .

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ماقال إنها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير

واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ فى جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت فى الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى ، فلما حملت به ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس فانها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا . وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك . فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يامريم أنى حبلى ؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضا أنى حبلى وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذى فى بطنها يسجد للذى فى بطن مريم أى يعظمه ويخضع له فان السجود كان فى ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف أبواه وإخوته وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم فى ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى ، قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين قال قرىء على الحارث ابن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه الله بلغنى أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم إنى أرى أن ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله جعله يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ثم اختلف المفسرون فى مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد لثمانية أشهر وقال ابن جريج أخبرنى المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفى سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شىء بحسبه كقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) فهذه الفاء للتعقيب بحسبها . وقد ثبت فى الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) فالمشهور الظاهر والله على كل شىء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها فى المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه مايعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ماهى فيه فجعل أمرها يجوس فى فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه على أن عرض لها فى القول فقال يامريم إنى سائلك عن أمر فلا تعجلى على . قالت وما هو ؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب . فقالت نعم وفهمت ما أشار اليه . أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر فان الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فان الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصدقها وسلم لها حالها ، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانا قصيا أى فاصيا منهم بعيدا عنهم لئلا تراهم ولا يروها ، قال محمد بن إسحق : فلما حملت به وملأت قلتها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها مايصيب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث فى بنى إسرائيل فقالوا إنما صاحبها يوسف ولم يكن معها فى الكنيسة غيره وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجابا فلا يراها أحد ولا تراه ، وقوله (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) أى فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة فى المكان الذى تنحت اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدى كان شرقى محرابها الذى تصلى فيه من بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق ، وفى رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس فى قرية هناك يقال لها بيت لحم ، قلت وقد تقدم فى أحاديث الاسراء من رواية النسائى عن أنس رضى الله عنه والبيهقى عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن ذلك ببيت لحم فالله أعلم وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح ، وقوله تعالى إخبارا عنها (قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) فيه دليل على جواز تمنى الموت عند

الفتنة فانها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها فى خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت (ياليتنى مت قبل هذا) أى قبل هذا الحال (وكنت نسيامنسيا) أى لم أخلق ولم أك شيئا قاله ابن عباس ، وقال السدى قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتنى مت قبل هذا الكرب الذى أنا فيه والحزن بولادتى المولود من غير بعل (وكنت نسيا منسيا) نسى فترك طلبه كخرق الحيض إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شىء نسى وترك فهو نسى ، وقال قتادة (وكنت نسيا منسيا) أى شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى من أنا ، وقال الربيع بن أنس (وكنت نسيامنسيا) هو السقط ، وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط ،وقدقدمنا الأحاديث الدالة على النهى عن تمنى الموت إلا عند الفتنة عند قوله (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)

﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذى تحتها ، وقرأ الآخرون من تحتها على أنه حرف جر ، واختلف المفسرون فى المراد بذلك من هو ؟ فقال العوفى وغيره عن ابن عباس (فناداها من تحتها) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها ، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وعمرو بن ميمون والسدى وقتادة: إنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أى ناداها من أسفل الوادى ، وقال مجاهد (فناداها من تحتها) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنه ابنها قال أو لم تسمع الله يقول (فأشارت إليه) واختاره ابن زيد وابن جرير فى تفسيره ، وقوله (أن لا تحزنى) أى ناداها قائلا لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا) قال سفيان الثورى وشعبة عن أبى إسحق عن البراء بن عازب (قد جعل ربك تحتك سريا) قال الجدول وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: السرى النهر، وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه ، وقال مجاهد هو النهر بالسريانية ، وقال سعيد بن جبير السرى النهر الصغير بالنبطية ، وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية ، ، وقال إبراهيم النخعى هو النهر الصغير وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز ، وقال وهب بن منبه . السرى هو ربيع الماء ، وقال السدى هو النهر واختار هذا القول ابن جرير وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع فقال الطبرانى حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا يحيى بن عبد الله البابلى حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن السرى الذى قال الله لمريم (قد جعل ربك تحتك سريا) نهر أخرجه الله لتشرب منه » وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه . وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلى قال فيه أبو حاتم الرازى ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدى : متروك الحديث ، وقال آخرون المراد بالسرى عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الأول أظهر ولهذا قال بعده (وهزى إليك بجذع النخلة) أى وخذى إليك بجذع النخلة ، قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة ، وقال الثورى عن أبى داود نفيع الأعمى كانت صرفانة والظاهر أنها كانت شجرة ولكن لم تكن فى إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشرابا فقال (تساقط عليك رطبا جنيا* فكلى واشربى وقرى عينا) أى طيبى نفسا ولهذا قال عمرو بن ميمون : ما من شىء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكريمة وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمى حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى عن عروة بن رويم عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا

عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله ﷺ « أطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » هذا حديث منكر جدا ورواه أبو يعلى عن شيبان به ، وقرأ بعضهم (تساقط) بتشديد السين وآخرون بتخفيفها ، وقرأ أبو نهيك (تسقط عليك رطبا جنيا) وروى أبو إسحق عن البراء أنه قرأها (يساقط) أى الجذع والكل متقارب

وقوله (فأما ترين من البشر أحدا) أى مهما رأيت من أحد (فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) المراد بهذا القول الاشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظى لثلاينافى (فلن أكلم اليوم إنسيا) قال أنس بن مالك فى قوله (إنى نذرت للرحمن صوما) قال: صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفى رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما ، والمراد أنهم كانوا إذا صاموا فى شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد . قال ابن إسحق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ، يعنى بذلك مريم عليها السلام ليكون عذرا لها إذا سئلت ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير رحمهما الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم (لا تحزنى) قالت وكيف لا أحزن وأنت معى لا ذات زوج ولا مملوكة أى شيء عذرى عند الناس؟ ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قال لها عيسى أنا أكفيك الكلام (فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك وأن لا تكلم أحدا من البشر فانها ستكفى أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جدا وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أى أمرا عظيما قاله مجاهد وقتادة والسدى وغير واحد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنا شيبان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجونى عن نوف البكالى قال وخرج قومها فى طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعى بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكنى رأيت الليلة من بقرى ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادى . قال عبد الله بن أبى زياد وأحفظ عن شيبان أنه قال رأيت نورا ساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها فى حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها (وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أمرا عظيما (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون فى العبادة (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) أى أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال على ابن أبى طلحة والسدى قيل لها (يا أخت هرون) أى أخى موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وللمضرى يا أخا مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به فى الزهادة والعبادة وحكى ابن جرير

عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هرون . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ماروا ه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عزوجل (يا أخت هرون) قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى (فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون) وهذا القول خطأ محض فان الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثا وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان وداود فان الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى (ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جرأ القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرأيت ماتقرءون (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال فرجعت فذكرت ذلك رسول الله ﷺ فقال « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم » انفرد باخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث ابن إدريس ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبئت أن كعبا قال إن قوله (يا أخت هرون) ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هرون) الآية قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل ، وقوله (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ماقالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متهكمين بها ظانين أنها تزدري بهم وتلاعب بهم (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) قال ميمون بن مهران (فأشارت إليه) قالت كلوه فقالوا على ماجاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا : وقال السدي لما (أشارت إليه) غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم ؟ قال إني عبد الله ، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) تبرئة لأمه مما نسبت اليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لأمه ماقالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ـ إلى قوله ـ مادمت حيا) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) الآية ، وقال عكرمة (آتاني الكتاب) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصفى حدثنا يحيى بن سعيد

هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو فى بطن أمه فذلك قوله (إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) يحيى بن سعيد العطار الحمصى متروك وقوله (وجعلنى مباركا أينما كنت) قال مجاهد وعمرو بن قيس والثورى وجعلنى معلما للخير وفى رواية عن مجاهد نفاعا وقال ابن جرير حدثنى سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومى سمعت وهيب بن الورد مولى بنى مخزوم قال لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم فقال له يرحمك الله ما الذى أعلن من عملى ؟ قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه دين الله الذى بعث به أنبياءه إلى عباده ، وقد أجمع الفقهاء على قول الله (وجعلنى مباركا أينما كنت) وقيل ما بركته ؟ قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أينما كان وقوله (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) كقوله تعالى لمحمد ﷺ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس فى قوله (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت . ما أثبتها لأهل القدر . وقوله (وبرا بوالدتى) أى وأمرنى ببر والدتى ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيرا مايقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقال (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وقوله (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى ولم يجعلنى جباراً مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدتى فأشقى بذلك : قال سفيان الثورى الجبار الشقى الذى يقتل على الغضب ، وقال بعض السلف لا تجد أحداً عاقا لوالديه إلا وجدته جباراً شقيا ثم قرأ (وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا) قال ولا تجد سيىء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ، وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص فى آيات سلطه الله عليهن وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذى حملك وطوبى للثدى الذى أرضعت به فقال نبى الله عيسى عليه السلام يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع مافيه ولم يكن جبارا شقيا وقوله (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) إثبات منه لعبوديته لله عزوجل وأنه مخلوق من خلق الله يحيى ويميت ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة فى هذه الأحوال التى هى أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذى قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (قول الحق الذى فيه يمترون) أى يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الأكثرون قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق ، وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر إعرابا ويشهد له قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبيا نزه نفسه المقدسة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أى عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أى إذا أراد شيئا فإنما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقوله (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى ومما أمر به عيسى قومه وهو فى مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى جئتكم به عن الله صراط مستقيم أى قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى . وقوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف قول أهل الكتاب فى عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على

أنه ولد زنية ، وقالوا كلامه هـذا سحر ، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن الله ، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذى أرشد الله اليه المؤمنين ، وقد روى نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف . قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا فى عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله . قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون . فكان لكل رجل منهم أتباع على ماقالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين ، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً ، وقد روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك ، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم فى محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفاً فاختلفوا فى عيسى بن مريم عليه السلام اختلافا متباينا جداً فقالت كل شرذمة فيه قولا فمائة تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولا آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال إليهم الملك وكان فيلسوفا فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هى الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيروه فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار فى مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس فى أيامه ما يقارب اثنى عشر ألف كنيسة وبنت أمه هيلانة قمامة على المكان الذى صلب فيه الصلوب الذى يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولداً ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم فانه الذى لايعجل على من عصاه كما جاء فى الصحيحين « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) وفى الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » وقد قال الله تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلىّ المصير) وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) ولهذا قال ههنا (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أى يوم القيامة ، وقد جاء فى الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وحده له شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار يوم القيامة إنهم يكونون أسمع شىء وأبصره كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا) الآية أى يقولون ذلك حين لاينفعهم ولا يجدى عنهم شيئاً ولو كان

هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعا لهم ومنقذا من عذاب الله ولهذا قال (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) يعنى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم) أى فى الدنيا (فى ضلال مبين) أى لايسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لايهتدون ويكونون مطيعين حيث لاينفعهم ذلك ثم قال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) أى أنذر الخلائق يوم الحسرة (إذ قضى الأمر) أى فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ماصار إليه مخلدا فيه (وهم) أى اليوم (فى غفلة) عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة (وهم لايؤمنون) أى لايصدقون به . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ـ قال ـ فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ـ قال ـ فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلود ولاموت ويا أهل النار خلود ولا موت » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) وأشار بيده ثم قال « أهل الدنيا فى غفلة الدنيا » هكذا رواه الإمام أحمد وقد خرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث الأعمش به ولفظهما قريب من ذلك ، وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثنى أسباط ابن محمد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا مثله ، وفى سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة نحوه وهو فى الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جرير قال : قال ابن عباس فذكر من قبله نحوه ، ورواه أيضا عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول فى قصصه يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون ، وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء عن عبدالله هو ابن مسعود فى قصة ذكرها قال فليس نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة وبيت فى النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذى فى الجنة ويقال لهم لو عملتم فتأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت الذى فى النار فيقال لهم لولا أن الله من عليكم ، وقال السدى عن زياد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى قوله (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت فى صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا فلا يبقى أحد فى أهل عليين ولا فى أسفل درجة فى الجنة إلا نظر اليه ثم ينادى مناد يا أهل النار هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا فلا يبقى أحد فى ضحضاح من نار ولا فى أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبدا لآبدين ويا أهل النار هو الخلود أبدا لآبدين فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتا من فرح ماتوا ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتا من شهقة ماتوا فذلك قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) يقول إذا ذبح الموت ، ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (وأنذرهم يوم الحسرة) من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وأنذرهم يوم الحسرة) قال يوم القيامة وقرأ (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) وقوله (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكا ولا تصرفا بل هو الوارث لجميع خلقه الباقى بعدهم الحاكم فيهم فلا تظلم نفس شيئاً ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة قال ابن أبى حاتم ذكر هدبة بن خالد القيسى حدثنا حزم بن أبى حزم القطعى قال كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبدالحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد فان الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم اليه وقال فيما أنزل فى كتابه الصادق الذى حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه انه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر فى الكتاب إبراهيم واتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا) أى لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا (ياأبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) يقول وإن كنت من صلبك وترانى أصغر منك لأنى ولدك فاعلم أنى قد اطلعت من العلم من الله على مالم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك (فاتبعنى أهدك صراطا سويا) أى طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المرهوب (يا أبت لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فى عبادتك هذه الأصنام فانه هو الداعى إلى ذلك والراضى به كما قال تعالى (ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقال (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) وقوله (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أى مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله (ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أى على شركك وعصيانك لما آمرك به (فتكون للشيطان وليا) يعنى فلا يكون لك مولى ولا ناصراً ولا مغيثاً إلا إبليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شىء بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم)

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن جواب أبى إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه انه قال (أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟) يعنى إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبها وشتمها وعيبها فانك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك وهو قوله (لأرجمنك) قاله ابن عباس والسدى وابن جريج والضحاك وغيرهم ، وقوله (واهجرنى مليا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن إسحاق يعنى دهرا وقال الحسن البصرى زمانا طويلا وقال السدى (واهجرنى مليا) قال أبداً . وقال على بن أبى طلحة والعوفى عن عباس (واهجرنى مليا) قال سويا سالما قبل أن تصيبك منى عقوبة وكذا قال الضحاك وقتادة وعطية الجدلى وأبو مالك وغيرهم واختاره ابن جرير فعندها قال إبراهيم لأبيه (سلام عليك) كما قال تعالى فى صفة المؤمنين (وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلاما) وقال تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلون) ومعنى قول إبراهيم لأبيه (سلام عليك) يعنى أما أنا فلا ينالك منى مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الأبوة (سأستغفر لك ربى) ولكن سأسأل الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك (إنه كان بى حفيا) قال ابن عباس وغيره لطيفا أى فى أن هدانى لعبادته والاخلاص له . وقال قتادة ومجاهد وغيرهما إنه كان بى حفيا قال عوده الإجابة وقال السدى الحفى الذى يهتم بأمره ، وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام وبنى المسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام فى قوله (ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين فى ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل فى ذلك حتى أنزل الله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ

قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله — إلى قوله — إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) الآية ، يعني إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالى أن إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين — إلى قوله — وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم) وقوله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي) أي أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله (وأدعو ربي) أي وأعبد ربي وحده لا شريك له (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

يقول تعالى فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله أبدله الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن إسحاق كما قال في الآية الأخرى (ويعقوب نافلة) وقال (ومن وراء إسحاق يعقوب) ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) ولهذا إنما ذكر ههنا إسحاق ويعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال (وكلا جعلنا نبيا) فلو لم يكن يعقوب عليه السلام قد نبيء في حياة إبراهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فإنه نبي أيضا كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال « يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله » وفي اللفظ الآخر « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » وقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الثناء الحسن وكذا قال السدي ومالك بن أنس ، وقال ابن جرير إنما قال عليا لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾

لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) قرأ بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة ، قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي لبابة قال : قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن المخلص لله قال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده الناس ، وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفى كما قال تعالى (إني اصطفيتك على الناس) (وكان رسول نبيا) جمع الله له بين الوصفين فانه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وقوله (وناديناه من جانب الطور) أي الجانب (الأيمن) من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فرآها تلوح فقصدها فوجدها في جانب الطور الأيمن منه غربيه عند شاطيء الوادي فكلمه الله تعالى وناداه وقربه فناجاه ، روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وقربناه نجيا) قال أدنى حتى سمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدي (وقربناه نجيا) قال أدخل في السماء فكلم وعن مجاهد نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقربناه نجيا) قال نجا بصدقه ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء قال: يا موسى إذا خلقت لك قلبا شاكرا

ولساناً ذا كراً وزوجة تعين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئا ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئا. وقوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) أى وأجبنا سؤاله وشفاعته فى أخيه فجعلناه نبيا كما قال فى الآية الأخرى (وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون) وقال (قد أوتيت سؤلك ياموسى) وقال (فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون) ولهذا قال بعض السلف ما شفع أحد فى أحد شفاعة فى الدنيا أعظم من شفاعة موسى فى هارون أن يكون نبيا قال الله تعالى(ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال :قال ابن عباس قوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وقد ذكره ابن أبى حاتم معلقا عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقى به .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾

هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد . قال ابن جرير لم يعد ربه عدة إلا أنجزها يعنى ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاها حقها . وقال ابن جرير حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبى عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فيه فجاء ونسى الرجل فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا ؟ قال لا قال إنى نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتينى فلذلك (كان صادق الوعد) وقال سفيان الثورى بلغنى أنه أقام فى ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه . وقال ابن شوذب بلغنى أنه اتخذ ذلك الموضع مسكنا ، وقد روى أبو داود فى سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطى فى كتابه مكارم الأخلاق من طريق إبراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعنى ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبى الحمساء قال بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث فبقيت له على بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك قال فنسيت يومى والغد فأتيته فى اليوم الثالث وهو فى مكانه ذلك فقال لى « يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك » لفظ الخرائطى وساق آثارا حسنة فى ذلك ، ورواه ابن منده أبو عبدالله فى كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبدالكريم به وقال بعضهم إنما قيل له (صادق الوعد) لأنه قال لأبيه (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) فصدق فى ذلك ، فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقال رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به ، وقد أثنى على أبى العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال « حدثنى فصدقنى ووعدنى فوفى لى » ولما توفى النبى ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنى أنجز له فجاء جابر بن عبد الله فقال إن رسول الله ﷺ قال « لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » يعنى ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابراً فغرف بيديه من المال ثم أمره بعده فإذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثليها معها، وقوله(وكان رسولا نبيا) فى هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه وقوله (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) هذا أيضاً من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة حيث كان صابراً على طاعة ربه

عز وجل آمراً بها لأهله كما قال تعالى لرسوله (وأمر أهلك الصلاة واصطبر عليها) الآية وقال (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) أى مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر ولا تدعوهم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة ، وقد جاء فى الحديث عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح فى وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت فى وجهه الماء » أخرجه أبو داود وابن ماجه . وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه واللفظ له

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقاً نبياً وأن الله رفعه مكاناً عليا ، وقد تقدم فى الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به فى ليلة الإسراء وهو فى السماء الرابعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً فقال حدثنى يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرنى جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال ابن يساف قال سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لإدريس (ورفعناه مكاناً عليا) فقال كعب أما إدريس فان الله أوحى إليه أنى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فأحب أن يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلى كذا وكذا فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء فلما كان فى السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس ؟ فقال هو ذا على ظهرى قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لى اقبض روح إدريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكانا عليا) هذا من أخبار كعب الأحبار الاسرائيليات ، وفى بعضه نكارة والله أعلم

وقد رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أنه سأل كعباً فذكر نحو ما تقدم غير أنه قال لذلك الملك هل لك أن تسأله يعنى ملك الموت كم بقى من أجلى لكى أزاداد من العمل وذكر باقيه وفيه أنه لما سأله عما بقى من أجله قال لا أدرى حتى أنظر فنظر ثم قال إنك تسألنى عن رجل ما بقى من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدريس كان خياطا فكان لا يغرز إبرة إلا قال سبحان الله فكان يمسى حين يمسى وليس فى الأرض أحد أفضل عملا منه وذكر بقيته كالذى قبله أو نحوه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى . وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (ورفعناه مكاناً عليا) قال السماء الرابعة وقال العوفى عن ابن عباس (ورفعناه مكانا عليا) قال رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره فى قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال : الجنة .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين فى هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الآية قال السدى وابن جرير رحمه الله فالذى عنى به من ذرية آدم إدريس والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم والذى عنى به من ذرية إبراهيم

إسحق ويعقوب وإسماعيل والذى عنى به من ذرية إسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ، قال ابن جرير ولذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح فى السفينة وهو إدريس فانه جد نوح (قلت) هذا هو الأظهر أن إدريس فى عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقدقيل إنه من أنبياء بنى إسرائيل أخذا من حديث الإسراء حيث قال فى سلامه على النبى صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام . وروى ابن أبى حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن عمر أن إدريس أقدم من نوح فبعثه الله إلى قومه فأمرهم أن يقولوا لاإله إلا الله ويعملوا ماشاءوا فأبوا فأهلكهم الله عز وجل ، ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء أنها كقوله تعالى فى سورة الأنعام (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * — إلى قوله — أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقال سبحانه وتعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وفى صحيح البخارى عن مجاهد أنه سأل ابن عباس أفى ص سجدة ؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فنبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم قال وهو منهم يعنى داود . وقال الله تعالى فى هذه الآية الكريمة (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) أى إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا واستكانة حمدا وشكرا على ماهم فيه من النعم العظيمة ، والبكى جمع باك فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لمنوالهم . قال سفيان الثورى عن الأعمش عن إبراهيم عن أبى معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكى يريد البكاء . رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبى معمر فيما رأيت فالله أعلم

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره ، ذكر أنه (خلف من بعدهم خلف) أى قرون أخر (أضاعوا الصلاة) وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أى خسارا يوم القيامة ، وقد اختلفوا فى المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد بإضاعتها تركها بالكلية قاله محمد بن كعب القرظى وابن زيد بن أسلم والسدى واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن الشافعى إلى تكفير تارك الصلاة للحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » والحديث الآخر « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وليس هذا محل بسط هذه المسألة . وقال الأوزاعى عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة فى قوله (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) قال إنما أضاعوا المواقيت ولوكان تركا كان كفرا . وقال وكيع عن المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود أنه قيل له إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن (الذين هم عن صلاتهم ساهون) و (على صلاتهم دائمون) و (على صلاتهم يحافظون) فقال ابن مسعود على مواقيتها . قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قال ذلك الكفر ، قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفى

إفراطهن الهلكة وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن ، وقال الأوزاعى عن إبراهيم بن يزيد ان عمر بن العزيز قرأ (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ثم قال لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت ، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات) قال عند قيام الساعة وذهاب صالحى أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض فى الأزقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله ، وروى جابر الجعفى عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبى رباح أنهم من هذه الأمة يعنون فى آخر الزمان ، وقال ابن جرير حدثنى الحارث حدثنا الحسن الأشيب حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال هم فى هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر فى الطرق لا يخافون الله فى السماء ولا يستحيون من الناس فى الأرض ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا حيوة حدثنا بشير بن أبى عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر » وقال بشير قلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يأكل به ، وهكذا رواه أحمد عن أبى عبد الرحمن المقرى ، وقال ابن أبى حاتم أيضاً حدثنى أبى حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبى الرجال أن عائشة كانت ترسل بالشىء صدقة لأهل الصفة وتقول لا تعطوا منه بربريا ولا بربرية فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « هم الخلف الذين قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » هذا حديث غريب وقال أيضاً حدثنى أبى حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شيخ من أهل المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظى يقول فى قول الله (فخلف من بعدهم خلف) الآية قال هم أهل الغرب يملكون وهم شر من ملك ، وقال كعب الأحبار والله إنى لأجد صفة المنافقين فى كتاب الله عزوجل شرابين للقهوات تراكين للصلوات لعابين بالكعبات رقادين عن العتمات مفرطين فى الغدوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقال الحسن البصرى: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات، وقال أبو الأشهب العطاردى أوحى الله إلى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدى إذا آثر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتى ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو زيد التميمى عن أبى قبيل أنه سمع عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « إنى أخاف على أمتى اثنتين : القرآن واللبن[1] » أما اللبن فيتبعون الزيف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المؤمنين ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل عن عقبة به مرفوعا بنحوه تفرد به ، وقوله (فسوف يلقون غيا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (فسوف يلقون غيا) أى خسرانا ، وقال قتادة شراً وقال سفيان الثورى وشعبة ومحمد بن إسحق عن أبى إسحق السبيعى عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود (فسوف يلقون غيا) قال واد فى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم وقال الأعمش عن زياد عن أبى عياض فى قوله (فسوف يلقون غيا) قال واد فى جهنم من قيح ودم وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير حدثنى عباس بن أبى طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شرقى بن قطامى عن لقمان بن عامر الخزاعى قال جئت أبا أمامة صدى بن عجلان الباهلى فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بطعام ثم قال : قال رسول الله ﷺ « لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى إلى غى وآثام » قال قلت ماغى وآثام قال: قال « بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار » وهما اللذان ذكرهما الله فى كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله فى الفرقان (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما) هذا حديث غريب ورفعه منكر ، وقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) أى إلا

(١) كذا فى النسخة المكية وفى النسخة الأميرية : الكنى ، بدل اللبن .

من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فان الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) وذلك لأن التوبة تجب ماقبلها ، وفى الحديث الآخر « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التى عملوها شيئا ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرا وترك نسيا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم ، وهذا الاستثناء ههنا كقوله فى سورة الفرقان (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ـ إلى قوله ـ وكان الله غفورا رحيما)

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

يقول تعالى الجنات التى يدخلها التائبون من ذنوبهم هى جنات عدن أى إقامة التى وعد الرحمن عباده بظهر الغيب أى هى من الغيب الذى يؤمنون به ومارأوه وذلك لشدة إيقانهم وقوة إيمانهم وقوله (إنه كان وعده مأتيا) تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره فان الله لايخلف الميعاد ولا يبدله كقوله (كان وعده مفعولا) أى كائنا لا محالة ، وقوله ههنا (مأتيا) أى العباد صائرون إليه وسيأتونه ومنهم من قال (مأتيا) بمعنى آتيا لأن كل ماأتاك فقد أتيته كما تقول العرب أتت على خمسون سنة وأتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد ، وقوله (لا يسمعون فيها لغوا) أى هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد فى الدنيا ، وقوله (إلا سلاما) استثناء منقطع كقوله (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) وقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى فى مثل وقت البكرات ووقت العشيات لا أن هناك ليلا ونهارا ولكنهم فى أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار كما قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » أخرجاه فى الصحيحين من حديث معمر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصارى عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » تفرد به أحمد من هذا الوجه .وقال الضحاك عن ابن عباس (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال مقادير الليل والنهار ، وقال ابن جرير حدثنا على بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال : ليس فى الجنة ليل هم فى نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وبفتح الأبواب وبهذا الإسناد عن الوليد ابن مسلم عن خليد عن الحسن البصرى وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتنهم انفتحى انغلقى فتفعل ، وقال قتادة فى قوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فيها ساعتان بكرة وعشى ليس ثم ليل ولانهار وإنما هو ضوء ونور ، وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا وقال الحسن وقتادة وغيرهما كانت العرب الأنعم فيهم من يتغدى ويتعشى فنزل القرآن على ما فى أنفسهم من النعيم فقال تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وقال ابن مهدى عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال البكور يرد على العشى والعشى يرد على البكور ليس فيها ليل ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا على ابن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثنى أبى حدثنى محمد بن زياد قاضى أهل شماط عن عبد الله بن حدير

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مامن غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات إلا أنه يزف إلى ولى الله فيها زوجة من الحور العين أدناهن التى خلقت من الزعفران » قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر ، وقوله (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) أى هذه الجنة التى وصفنا بهذه الصفات العظيمة هى التى نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عزوجل فى السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس وكما قال تعالى فى أول سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) إلى أن قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَّبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يعلى ووكيع قالا: حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » قال فنزلت (وما نتنزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . انفرد بإخراجه البخارى فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبى نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة فى آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال العوفى عن ابن عباس احتبس جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل وقال يا محمد (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الآية . وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنى عشرة ليلة ويقولون أقل فلما جاءه قال «ياجبرائيل لقد رثت على حتى ظن المشركون كل ظن» فنزلت (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الآية . قال وهذه الآية كالتى فى الضحى قال وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقتادة والسدى وغير واحد : إنها نزلت فى احتباس جبرائيل ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ثم نزل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ما نزلت حتى اشتقت إليك » فقال له جبريل بل أنا كنت إليك أشوق ولكنى مأمور فأوحى الله إلى جبرائيل أن قل له (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الآية رواه ابن أبى حاتم رحمه الله وهو غريب ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال أبطأت الرسل على النبى ﷺ ثم أتاه جبريل فقال له « ماحبسك ياجبريل . » فقال له جبريل وكيف نأتيكم وأنتم لاتقصون أظفاركم ولاتنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون . ثم قرأ (وما نتنزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . وقد قال الطبرانى حدثنا أبو عامر النحوى حدثنا محمد بن إبراهيم الصورى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى حدثنا إسماعيل بن عياش أخبرنى ثعلبة بن مسلم عن أبى كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبى ﷺ أن جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبى اليمان عن إسماعيل بن عياش عن ابن عباس بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار حدثنى شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصلحى لنا المجلس فانه ينزل ملك إلى الأرض لم ينزل إليها قط » وقوله (له مابين أيدينا وما خلفنا) قيل المراد ما بين أيدينا أمر الدنيا وماخلفنا أمر الآخرة (وما بين ذلك) ما بين النفختين هذا قول أبى العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة فى رواية عنهما والسدى والربيع بن أنس وقيل (ما بين أيدينا) مايستقبل من أمر الآخرة (وما خلفنا) أى مامضى من الدنيا (وما بين ذلك) أى ما بين الدنيا والآخرة ، ويروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن جريج والثورى واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم . وقوله (وماكان ربك نسيا) قال مجاهد والسدى : معناه ما نسيك ربك وقد تقدم

عنه أن هذه الآية كقوله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن محمد ابن عبد الصمد الدمشقي حدثنا محمد بن عثمان يعني أبا الجماهر حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء يرفعه قال « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئاً » ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيا) وقوله (رب السموات والأرض وما بينهما) أي خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلا أو شبيهاً وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم ، وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) وقال (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم * قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال ههنا (ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا * أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) يستدل تعالى بالبداءة على الاعادة يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئاً أفلا يعيده وقد صار شيئاً كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وفي الصحيح « يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني ، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني ، أما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من آخره ، وأما أذاه إياي فقوله إن لي ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقوله (فوربك لنحشرنهم والشيطان) أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لابد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) قال العوفي عن ابن عباس يعني قعودا كقوله (وترى كل أمة جاثية) وقال السدي في قوله جثيا يعني قياما ، وروى عن مرة عن ابن مسعود مثله . وقوله (ثم لننزعن من كل شيعة) يعني من كل أمة قاله مجاهد (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال الثوري عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: يحبس الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعا ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما وهو قوله (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) وقال قتادة (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ثم لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى (حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار - إلى قوله - بما كنتم تكسبون) وقوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي مية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا، وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال

صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا » غريب ولم يخرجوه وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال قد مررتم عليها وهي خامدة، وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فلا أدري أنجو منها أم لا - وفي رواية - وكان مريضاً وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي فقيل له ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها ، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال : قال رجل لأخيه هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها ، قال لا ، قال ففيم الضحك قال لما رئي ضاحكا حتى لحق بالله وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع: لا ، فقرأ ابن عباس (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وردوا أم لا وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) أوردهم لم لا ، أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع . وروى ابن جريج عن عطاء قال : قال أبو راشد الحروري وهو نافع بن الأزرق (لا يسمعون حسيسها) فقال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) (وإن منكم إلا واردها) والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما ، وأدخلني الجنة غانما ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا . وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها (وإن منهم إلا واردها) يعني الكفار وهكذا روى عمر بن الوليد البسق أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (وإن منهم إلا واردها) قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وإن منكم إلا واردها) يعني البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) الآية (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (وإن منكم إلا واردها) قال رسول الله ﷺ « يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » ورواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به، ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث ههنا مرفوعا ، وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس . وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله (وإن منكم إلا واردها) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . وقال ابن جرير حدثني

يعقوب حدثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن امسكى أصحابك ودعى أصحابى قال فتخسف بكل ولى لها هى أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبى الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذوشعبتين يدفع به الدفع فيصرع به فى النار سبعمائة ألف وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ « إنى لأرجو أن لايدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدراً والحديبية » قالت فقلت أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) قالت : فسمعته يقول (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) . وقال أحمد أيضاً حدثنا ابن إدريس حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله ﷺ فى بيت حفصة فقال « لايدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية » قالت حفصة أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم ننجى الذين اتقوا) الآية وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم »

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرنى الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم » يعنى الورود ، وقال أبوداود الطيالسى حدثنا زمعة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لايموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » قال الزهرى كأنه يريد هذه الآية (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) . وقال ابن جرير حدثنى عمران بن بكار الكلاعى حدثنا أبوالمغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم حدثنا إسماعيل بن عبيدالله عن أبى صالح عن أبى هريرة قال خرج رسول الله ﷺ يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال « ان الله تعالى يقول هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار فى الآخرة » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وحدثنا أبوكريب حدثنا أبو اليمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ (وإن منكم إلا واردها) . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » فقال عمر اذا نستكثر يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكثر وأطيب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ألف آية فى سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله متطوعا لابأجر سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم » قال الله تعالى (وإن منكم إلا واردها) وان الذكر فى سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف ، وفى رواية بسبعمائة ألف ضعف ، وروى أبوداود عن أبى الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبان عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ « إن الصلاة على والصيام والذكر يضاعف على النفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف » . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله (وإن منكم إلا واردها) قال هو الممر عليها : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وإن منكم إلا واردها) قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة دعاؤهم يا ألله سلم سلم » وقال السدى عن مرة عن ابن مسعود فى قوله (كان على ربك حتما مقضيا) قال قسما واجبا : وقال مجاهد : حتما ، قال قضاء وكذا قال ابن جريج وقوله (ثم ننجى الذين اتقوا) أى إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصى بحسبهم نجى الله تعالى المؤمنين

المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التى كانت فى الدنيا ثم يشفعون فى أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهى مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب مافى قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم الذى يليه حتى يخرجون من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ولا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾

يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ماهم عليه من الدين الباطل بأنهم (خير مقاما وأحسن نديا) أى أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن نديا وهو مجتمع الرجال للحديث أى ناديهم أعمر وأكثر واردا وطارقا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مختفون مستترون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبراً عنهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا إليه) وقال قوم نوح (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم (هم أحسن أثاثاً ورئيا) أى كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتعة ومناظر وأشكالا قال الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس (خير مقاما وأحسن نديا) قال المقام المنزل والندى المجلس والأثاث المتاع والرئى المنظر ، وقال العوفى عن ابن عباس المقام المسكن والندى المجلس والنعمة والبهجة التى كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم فى القرآن (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) فالمقام المسكن والنعيم . والندى المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه ، وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط (وتأتون فى ناديكم المنكر) والعرب تسمى المجلس النادى ، وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك ماتسمعون (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال فى الأثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرئى المنظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، وقال الحسن البصرى يعنى الصور وكذا قال مالك (أثاثاً ورئياً) أكثر أموالا وأحسن صوراً والكل متقارب صحيح .

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا * حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾

يقول تعالى (قل) يامحمد لهؤلاء المشركين بربهم المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل (من كان فى الضلالة) أى منا ومنكم (فليمدد له الرحمن مداً) أى فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربه وينقضى أجله (إما العذاب) يصيبه (وإما الساعة) بغتة تأتيه (فسيعلمون) حينئذ (من هو شر مكانا وأضعف جنداً) فى مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندى . قال مجاهد فى قوله (فليمدد له الرحمن مداً) فليدعه الله فى طغيانه هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير

رحمه الله وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود فى قوله (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أى ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم إن كنتم تدعون أنكم على الحق فإنه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك وقد تقدم تقدير ذلك فى سورة البقرة مبسوط ولله الحمد ، وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى فى سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان والغلو فى دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فنكلوا أيضا عن ذلك

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾

لما ذكر تعالى إمداد من هو فى الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) الآيتين. وقوله (والباقيات الصالحات) قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها فى سورة الكهف (خير عند ربك ثوابا) أى جزاء (وخير مردا) أى عاقبة ومردا على صاحبها ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال « إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة » قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهللن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رآنى الجاهل حسب أنى مجنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبى سلمة عن أبى الدرداء والله أعلم ، وهكذا وقع فى سنن ابن ماجه من حديث أبى معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبى سلمة عن أبى الدرداء فذكر نحوه

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه منه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال فانى إذا مت ثم بعثت جئتنى ولى ثم مال وولد فأعطيتك فأنزل الله (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ـ إلى قوله ـ ويأتينا فردا) أخرجه صاحبا الصحيح وغيرهما من غير وجه عن الأعمش به وفى لفظ البخارى كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فذكر الحديث وقال (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) قال موثقا

وقال عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال : قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لى عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لى لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإذا بعثت كان لى مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الآيات وقال. العوفى عن ابن عباس إن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمى بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون أن فى الجنة ذهبا وفضة وحريراً ومن كل الثمرات ؟ قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذى

جئتم به فضرب الله مثله فى القرآن فقال (أفرأيت الذى كفر بآياتنا - إلى قوله - ويأتينا فردا) وهكذا قال مجاهد وقتادة وغيرهم إنها نزلت فى العاص بن وائل ، وقوله (لأوتين مالا وولدا) قرأ بعضهم بفتح الواو من ولدا وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة :

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيء ولدا

وقال الحارث بن حلزة: ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

وقال الشاعر: فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهى لغة قيس والله أعلم ، وقوله (أطلع الغيب) إنكار على هذا القائل (لأوتين مالا وولدا) يعنى يوم القيامة أى أعلم ماله فى الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك ؟ وقد تقدم عند البخارى أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) قال لا إله إلا الله فيرجو بها وقال محمد بن كعب القرظى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال شهادة أن لا إله إلا الله ثم قرأ (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وقوله (كلا) هى حرف ردع لما قبلها وتأكيد لما بعدها (سنكتب مايقول) أى من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتمناه وكفره بالله العظيم (ونمد له من العذاب مدا) أى فى الدار الآخرة على قوله ذلك وكفره بالله فى الدنيا (ونرثه ما يقول) أى من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال إنه يؤتى فى الدار الآخرة مالا وولدا زيادة على الذى له فى الدنيا بل فى الآخرة يسلب من الذى كان له فى الدنيا ، ولهذا قال تعالى (ويأتينا فردا) أى من المال والولد قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ونرثه ما يقول) قال نرثه . وقال مجاهد (ونرثه مايقول) ماله وولده وذلك الذى قال العاص بن وائل. وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ونرثه ما يقول) قال ما عنده وهو قوله (لأوتين مالا وولدا) وفى حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده وقال قتادة (ويأتينا فردا) لا مال له ولا ولد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ونرثه مايقول) قال ماجمع من الدنيا وما عمل فيها قال (ويأتينا فردا) قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير .

﴿ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَٰدَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾

يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون لهم تلك الآلهة (عزاً) يعتزون بها ويستنصرونها ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ولا يكون ما طمعوا فقال (كلا سيكفرون بعبادتهم) أى يوم القيامة (ويكونون عليهم ضداً) أى بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقرأ أبو نهيك (كل سيكفرون بعبادتهم) وقال السدى (كلا سيكفرون بعبادتهم) أى بعبادة الأوثان وقوله (ويكونون عليهم ضداً) أى بخلاف ما رجوا منهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ويكونون عليهم ضداً) قال أعوانا قال مجاهد عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم وقال العوفى عن ابن عباس (ويكونون عليهم ضداً) قال قرناء وقال قتادة قرناء فى النار يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم ببعض ، وقال السدى (ويكونون عليهم ضدا) قال الخصماء الأشداء فى الخصومة وقال الضحاك (ويكونون عليهم ضداً) قال أعداء . وقال ابن زيد الضد: البلاء ، وقال عكرمة : الضد الحسرة. وقوله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس تغويهم إغواء ، وقال العوفى عنه تحرضهم على محمد وأصحابه ، وقال مجاهد تشليهم إشلاء ، وقال قتاده تزعجهم إزعاجاً إلى معاصى الله ، وقال سفيان الثورى تغريهم إغراء وتسحجلهم استحجالا ، وقال السدى تطغيهم طغياناً ، وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى (ومن يعش

عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقوله (فلا تعجل عليهم إنما نعدلهم عدا) أى لا تعجل يا محمد على هؤلاء فى وقوع العذاب بهم (إنما نعد لهم عدا) أى إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله وقال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الآية (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) (إنما نملى لهم ليزدادوا إثما) (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقال السدى إنما نعدلهم عدا : السنين والشهور والأيام والساعات ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إنما نعدلهم عدا) قال نعد أنفاسهم فى الدنيا

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾

يخبر تعالى عن أولياته المتقين الذين خافوه فى الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمروهم به وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفدا إليه والوفد هم القادمون ركبانا ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم فانهم يساقون عنفاً إلى النار (وردا) عطاشا قاله عطاء وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالد عن عمرو بن قيس الملائى عن ابن مرزوق (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها وأطيبها ريحا فيقول من أنت فيقول أما تعرفنى ؟ فيقول لا ، الا أن الله قد طيب ريحك وحسن وجهك . فيقول أنا عملك الصالح وهكذا كنت فى الدنيا حسن العمل طيبه فطالما ركبتك فى الدنيا فهلم اركبنى فيركبه فذلك قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال ركبانا ، وقال ابن جرير حدثنى ابن المثنى حدثنا ابن مهدى عن سعيد عن إسماعيل عن رجل عن أبى هريرة (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال على الإبل وقال ابن جريج على النجائب ، وقال الثورى على الابل النوق ، وقال قتادة (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال إلى الجنة : وقال عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه حدثنا سويد ابن سعيد أخبرنا على بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوسا عند على رضى الله عنه فقرأ هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال لا والله ماعلى أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدنى به وزاد عليها رحائل من ذهب وأزمتها الزبرجد والباقى مثله . وروى ابن أبى حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً مرفوعا عن على فقال حدثنا أبى حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدى حدثنا مسلمة بن جعفر البجلى سمعت أبا معاذ البصرى قال : إن علياً كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) فقال ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما فى بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فإذا حلقه من ياقوت حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين ياعلى فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له ـ قال مسلمة أراه قال ساجدا ـ فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره

فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتاً من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق : أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طريقة تشا كل صاحبتها. وفي البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه : الأنهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يعتصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلي الثمار فان شاء أكل قائما وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئا ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال أخضر فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم (تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعلمون) ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لأهل الأرض لأضاءت الشمس معها سواد في نور » هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم وقوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي عطاشا (لا يملكون الشفاعة) أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها، قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجوا إلا الله عز وجل : وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاخته عن الأسود بن يزيد قال قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقوم يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك ان تكلني إلى عملي يقربني من الشر ويباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تؤديه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن خائفا مستجيراً مستغفرا راهبا راغبا إليك . ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع في مقام الانكار على من زعم أن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيرا فقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم) أي في قولكم هذا (شيئا إدا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أي عظيما ويقال إدا بكسر الهمزة وفتحها ومع مدها أيضا ثلاث لغات أشهرها الأولى وقوله (تكاد السموات يتفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاما للرب وإجلالا لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الأحد الصمد

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

قال ابن جرير حدثني علي حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله (تكاد السموات يتفطرن منه

وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً* أن دعوا للرحمن ولداً) قال إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لاينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم شهادة أن لاإله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة »فقالوا يارسول الله فمن قالها فى صحته ؟ قال « تلك أوجب وأوجب» ثم قال« والذى نفسى بيده لوجيء بالسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن فى كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى لرجحت بهن » هكذا رواه ابن جرير وبشهد له حديث البطاقة والله أعلم ، وقال الضحاك (تكاد السموات يتفطرن منه) أى يتشققن فرقاً من عظمة الله ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتنشق الأرض أى غضباً له عز وجل وتخر الجبال هداً قال ابن عباس هدما ، وقال سعيد بن جبير هداً ينكسر بعضها على بعض متتابعات ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد المقبرى حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال إن الجبل لينادى الجبل باسمه يافلان هل مر بك اليوم ذكر الله عزوجل ؟ فيقول نعم ويستبشر ، قال عون لهى للخير أسمع أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره ثم قرأ (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً* أن دعوا للرحمن ولداً) ، وقال ابن أبى حاتم أيضاً حدثنا المنذر بن شادان حدثنا هودة حدثنا عوف عن غالب بن عجرد حدثنى رجل من أهل الشام فى مسجد منى قال بلغنى أن الله لما خلق الأرض وخلق مافيها من الشجر لم يكن فى الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة ـ أو قال ـ كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بنى آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولداً فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر . وقال كعب الأحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ماقالوا . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعيد ابن جبير عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم » أخرجاه فى الصحيحين وفى لفظ « انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » وقوله (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً) أى لايصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته لأنه لا كفء له من خلقه لأن جميع الخلائق عبيد له ولهذا قال (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً) أى قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) أى لاناصر له ولامجير إلا الله وحده لاشريك له فيحكم فى خلقه بما يشاء وهو العادل الذى لايظلم مثقال ذرة ولايظلم أحداً

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾

يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهى الأعمال التى ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية ـ يغرس لهم فى قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لابد منه ولامحيد عنه وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال ياجبريل إنى أحب فلانا فأحبه ـ قال ـ فيحبه جبريل قال ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال ياجبريل إنى أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء فى الأرض » ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخارى من حديث ابن جريج عن موسى بن عتبة عن نافع مولى ابن عمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليلتمس مرضات الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المقة من الله — قال شريك هي المحبة — والصيت من السماء فإذا أحب الله عبدا قال لجبريل عليه السلام إني أحب فلانا فينادي جبريل إن ربكم يحب — يعني يحب — فلانا فأحبوه — أرى شريكا قد قال فتنزل له المحبة في الأرض — وإذا أبغض عبدا قال لجبريل إني أبغض فلانا فأبغضه قال فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه — أرى شريكا قال — فيجري له البغض في الأرض » غريب ولم يخرجوه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبد العزيز — يعني ابن محمد — وهو الدراوردي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله عز وجل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) » ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتيبة عن الدراوردي به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سيجعل لهم الرحمن ودا) قال حبا وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحببهم ويحببهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضا والضحاك وغيرهم ، وقال العوفي عن ابن عباس أيضا : الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق ، وقال قتادة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي والله في قلوب أهل الإيمان ، وذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ، وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد يعمل خيراً أو شرا إلا كساه الله عز وجل رداء عمله ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن الربيع بن صبيح عن الحسن البصري رحمه الله قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائما يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فمكث بذلك سبعة أشهر وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا إلى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال لا أراني أذكر إلا بشر لأجعلن عملي كله لله عز وجل فلم يزد على أن قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمله فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانا الآن وتلا الحسن (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) وقد روى ابن جرير أثراً أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم ، وقوله (فإنما يسرناه) يعني القرآن (بلسانك) أي يا محمد وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل (لتبشر به المتقين) أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله (وتنذر به قوما لدا) أي عوجاً عن الحق مائلين إلى الباطل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوما لدا لا يستقيمون ، وقال الثوري عن إسماعيل وهو السدي عن أبي صالح (وتنذر به قوما لداً) عوجا عن الحق ، وقال الضحاك الألد الخصم وقال القرظي الألد الكذاب ، وقال الحسن البصري (قوما لداً) صما وقال غيره صم آذان القلوب ، وقال قتادة قوما لدا يعني قريشا ، وقال العوفي عن ابن عباس (قوما لدا) فجارا وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد ، وقال ابن زيد: الألد الظلوم وقرأ قوله تعالى (وهو ألد الخصام) وقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) أي هل ترى منهم أحدا أو تسمع لهم ركزا قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك

وابن زيد يعنى صوتا ، وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا ، والركز فى أصل اللغة هو الصوت الخفى ، قال الشاعر : فتوحشت ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها .

آخر تفسير سورة مريم ولله الحمد والمنة . ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة طه ولله الحمد .

﴿ تفسير سورة طه وهى مكية ﴾

روى إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة فى كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة — يعنى عبد الرحمن بن يعقوب — عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى * ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسين ابن محمد بن شيبة الواسطى حدثنا أبو أحمد — يعنى الزبيرى — أنبأنا إسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه يا رجل وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبى مالك وعطية العوفى والحسن وقتادة والضحاك والسدى وابن أبزى أنهم قالوا : طه بمعنى يا رجل ، وفى رواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثورى أنها كلمة بالنبطية معناها يا رجل . وقال أبو صالح هى معربة وأسند القاضى عياض فى كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد فى تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبى ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى (طه) يعنى طأ الأرض يا محمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قال ولا يخفى ما فى هذا من الاكرام وحسن المعاملة وقوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال جويبر عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فليس الأمر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا كما ثبت فى الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وما أحسن الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقانى حدثنا ابن المبارك عن سفيان عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده إنى لم أجعل علمى وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالى » إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثى ذكره أبو عمرو فى استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب . وقال مجاهد فى قوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) هى كقوله (فاقرءوا ما تيسر منه) وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم فى الصلاة وقال قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة (إلا تذكرة لمن يخشى) ان الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، وقوله (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى) أى هذا القرآن الذى